

وفتح البحر أبوابه

المواطنون الفلسطينيون في قطاع غزة دخلوا كل شبر من أراضي المستوطنات سابقاً، غير أن أبرز منطقة لاقت إقبالاً لم يشهده من قبل كانت منطقة البحر في مدينة خان يونس، حيث منع المواطنون على مدار سنوات الاحتلال من دخوله.

لهفة المواطنين لدخول البحر كان لها آثار أثلقت بظلالها على احتفالات أهل القطاع بالاندحار الصهيوني، حيث استشهد تسعة مواطنين من مدينة خان يونس غرقاً في بحر المدينة بعد أن اجتاحت جموع المواطنين شاطئ البحر.

«مكثت في الماء أكثر من خمس ساعات متواصلة بالأمس وجئت اليوم لأكمل السباحة» هكذا عبر أحمد القرا ابن الثلاثة عشر عاماً وهو يلهو بماء البحر في خان يونس الذي حرم منه لأكثر من خمسة أعوام.

ويقول أحمد «إننا نسكن في حي الأمل المجاور لمجمع مستوطنات (غوش قطيف) أصيب منزلنا بعشرات الأعبرة النارية طوال الأعوام الماضية، كانت أمي تخاف علينا كثيراً وتمنعنا من الذهاب إلى اللعب حتى مع الجيران، وبمنعنا الاحتلال من الوقوف على سطح المنزل، أما البحر فلا يمكننا الوصول إليه، وحتى المدرسة لم تسلم من الرصاص الإسرائيلي، كانت حياتنا جحيماً».

أضاف أحمد وهو لا يريد الخروج من الماء ليشبع رغبته في اللعب طوال الأعوام الماضية «إن أمنيته أن أصل إلى البحر وأن ألعب كما يلعب الأطفال في سني، كانت تسليتنا الوحيدة مشاهدة التلفزيون ولكن بسبب كثرة انقطاع التيار الكهربائي بسبب إطلاق النار من المستوطنات كنا نقضي أوقاتنا مللاً وخوفاً ورعباً من الاحتلال وخصه، ولكن الآن بإمكاننا أن نسبح ونسبح ونفعل ما نريد لقد رحل الاحتلال».

أزيلت الحدود

أما المفاجأة التي أسعدت الفلسطينيين فهي خروجهم عبر الحدود لأول مرة بحرية، ودخولهم لدولة مصر الشقيقة عبر حدود قطاع غزة، حيث التحم لأول مرة شقي مدينة رفح وتعانقت البيوت المدمرة بعد أربعة عقود. وانتهز الفلسطينيون الفرصة ودخل الآلاف منهم إلى مدينة العريش، فيما دخل المصريون إلى غزة وشاركوا أهلها احتفالاتهم وعلامات الفرح تبدو واضحة على وجوههم البسيطة.

ويستعد الفلسطينيون الآن لخوض معارك مهمة تبدأ بمعركة البناء ولا تنتهي إلا بزوال الاحتلال عن كامل فلسطين، مروراً بتحرير الأسرى وعودة اللاجئين، واستعادة كامل الحقوق. ■

عملية الاستشهادية، لم تسعني مشاعري حتى الآن من عظم هذا الموقف».

وتابعت والدموع تتفجر من عينيها «أشعر في كل لحظة أن هناك في مستوطنة عتصمونا أصبحت قطعة من جسدي وروحي معلقة فيها ولا يفارقتني مشهدها، لم أتوقع أن يأتي هذا اليوم، فهو يوم خيالي بالنسبة لي أن أدخل المستوطنة وأرى مكان استشهاد ابني.. إنه حلم كبير».

آية من آيات الله

أقام الفلسطينيون احتفالات كبيرة ميّزتها استعراضات رجال المقاومة الذين أرادوا إيصال رسالة قوية إلى العدو أنهم لا يزالون جاهزين للرد على أي اعتداء، وفي أرجاء المستوطنات المحررة أقاموا احتفالاتهم، كان من أجمل المشاهد حينما صدعت صيحات التكبير والتهليل من مستوطنة (نضيه كالميم) غرب مدينة خان يونس، حينما داس الدكتور محمود الزهار، أحد أبرز قادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) العلم الإسرائيلي بقدمه، ورفع العلم الفلسطيني فوق أحد المباني في تلك المستوطنة المحررة.

ووصف الزهار، بعد رفعه للعلم الفلسطيني هذه اللحظات بالتاريخية، مؤكداً أن آية من آيات القرآن الكريم قد تحققت في هذا الانسحاب، تلك التي تتحدث عن ظن اليهود أن حصونهم ستحميهم، قائلاً «إن كل الحصون التي كانوا يبنونها الآن تتهدم. أضاف «هذه هي رمزية اللحظة التاريخية الهامة، التي نقف فيها بأقدامنا، نطأ العلم الصهيوني، ونرفع العلم الفلسطيني على هذه الأرض، لنقول لكل الدنيا إن الدولة النووية لم تستطع أن تهزم دماء الشهداء».

وتابع يقول: «هذه لحظة تاريخية، لحظة ترتفع فيها راية الإسلام والمسلمين، وتهزم فيها أعمدة الكفر والمشركين، وهنا نموذج واضح لمن يريد أن يقاوم أمتي دولة، وهو على قناعة أنه

سينتصر». وتابع «في هذه اللحظات التي تختلط فيها مشاعر الفرح والحزن لغيب قادتنا وأبنائنا إما شهداء أو خلف السجون، نجد عهدنا أننا سنعمل كل جهدنا على إخراجهم من السجون، إذا لم يخرجوا بالوسائل المعروفة، فسيخرجون بعمليات الخطف».

فيه غزّة، وكنت أشعر أن هذا اليوم قادم حتى أنني قلت للحاكم العسكري يوماً إنكم راحلون فقال لي أنت ستموت قبل أن نرحل، لأننا لن نرحل ويومها دعوت الله أن يطردهم من أرضنا وأرى ذلك اليوم وقد رأيتهم بالفعل من مجلسي هذا وهم يفككون جسرهم الذي بناه ظلماً على أرضي ويطأطئون رؤوسهم ويخرجون، وتمنيت لو أنني أرى الحاكم العسكري لأقول له أنا لم أمت بعد ولكنكم أنتم من خرجتم من أرضنا صاغرين جمعتم ظلمكم ورحلتكم بحقدكم وأرضنا عادت لنا وتمنيت أن تعود كل فلسطين».

السابقون السابقون

مشاهد الدموع وفرح المحزونين كانت هي الحاضرة، حينما أسرع أهالي الشهداء الذين سبقهم أبناءهم في اقتحام المستوطنات ودك حصونها واقتحام الأسلاك والجدران، كان من بين هؤلاء خنساء فلسطين، التي وجدت أن قطعة من جسدها لا زالت في الأراضي المحررة في مغتصبة (عتصمونا).. إنها والدة الشهيد محمد فرحات أم نضال فرحات.

حول تلك اللحظات تقول أم نضال: «منذ أن وطأت قدمي مستوطنة عتصمونا، المكان الذي استشهد فيه ولدي محمد، انتابني مشاعر فياضة وجياشة وبكيت كثيراً، إنه يوم مشهود في حياتي ولو أريد أن أحسبه بالزمن لحسبته بنصف عمري»، وتصف أم نضال الساعات التي قضتها في المستوطنة بالشيء الرهيب «فمن يسمع عن الاقتحام والمستوطنات ليس كمن يرى وينفذ». أضافت: «نحن نسمع اقتحام مستوطنة وعملية استشهادية داخل مستوطنة ولكن لا ندرك عظمة الموقف لأن هذا الموقف لا يدركه إلا من عاشه، وعندما رأيت الفتحة الصغيرة التي صنعها ولدي بكل ثقة وأطمئنان والتي تسلل منها إلى داخل مستوطنة عتصمونا لتنفيذ

